

الحياة الإلهية للعدراء مريم الطاهرة القداسة

وما أن وصل سيدنا يسوع المسيح إلى أورشليم حتى لحقت به أمه القديسة ، فسجدت تَوّاً على قدميه وطلبت بركته وسألته أن يقول لها ما يتوجّب عليها فعله . ثم انسحبت هي والنسوة وارتفعت بتأملها السامي إلى حد أنها كانت تشاهد هذه العجائب بوضوح ، كما لو أنها كانت حاضرة وتشارك فيها كمساعدة لابنها الذي كانت فضائله وأعماله وصلواته ترنّ في قلبها كمثل صدى الهي .

بعدئذٍ دخل سيدنا يسوع المسيح إلى الغرفة التي كانت مهياًة له وقال لرسله : إن هذا العشاء السري سيبضع حدّاً لجميع الطقوس الرمزية لأن الحقيقة قد ظهرت أخيراً . فشكر أباه السماوي في نفسه واقبل إلى هذه الوليمة الأخيرة .

وخلع الرداء الذي كانت أمه قد صنعت له والذي كان يلبسه دون خياطة فوق القميص واتّزر بمنديل ووضع ماءً في مطهرة . ماذا يا سيدي ؟ ستغسل لي رجليّ ؟ صرخ القديس بطرس ! انك لا تعرف الآن ماذا افعل . أجابه يسوع ، ولكن سوف تعلمه فيما بعد . وكأني به يقول له : اخضع مشيئتك لمشيئتي وأطع لأنه بدون الطاعة ليس هناك من تواضع حقيقي ، بل هناك زهو وعجب .

العرفان للجميل المتواضع والحب الممزوج بالاحترام .

وبعدئذٍ أمر يسوع ملائكته أن يكونوا بخدمتها من الآن فصاعداً بهيئة بشرية وان يعزّوها بحزنها . أما أنت قال لها : فستسيرين ورائي بمسافة قصيرة إلى أورشليم ، بصحبة النسوة رفيقاتك . فتعضدي إيمانهن وسط محن الآلمي ، ثم باركها وودّعها والألم يمزق قلبيهما بسبب هذا الفراق الذي يفوق ما يستطيع عقل بشري أن يتصوره .

بعد أن استأذن أمه ترك مخلصنا بيت عنيا قبيل الظهر بقليل برفقة رسله . وما أن سار بضع خطوات حتى رفع عينيه إلى السماء قائلاً : أيها الأب الأزلي إني ذاهب بإرادتك ومن أجل حبك لأتألم وأموت من أجل البشر لكي يسترجعوا من جديد محبتك ويمجدوا اسمك .

واشتركت العدراء مريم بهذه الصلاة وكانت أثناء الطريق تتحدث أحياناً مع الملائكة الذين كانوا يتأملون معها هذه الذبيحة الإلهية مع النسوة النقيات اللواتي كانت تقيهن خطر اضطراب آلام السيد وكن يستفدن من تعاليمها بالأخص مريم المجدلية التي كانت قوية المزاج وكان قلبها يلتهب بنيران الحب الإلهي .

